

أضواء البيان

@ 289 @ فَلَا هَادِيَ لَهٗ { ، وقوله تعالى : { وَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللّٰهِ شَيْئًا } وَأُولَئِكَ السّٰذِنَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ { . . . } .

وقوله تعالى : { وَأُولَئِكَ السّٰذِنَ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ { ، وقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ { ، وقوله تعالى : { السّٰذِنَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . . .

وقد قدّمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب ، وكذلك الأغلال في الأعناق ، والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم ، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان ، ووصول الخير إلى القلوب أن اللّٰه إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم لتكذيب الرسل ، والتمادي على الكفر ، فعاقبهم اللّٰه على ذلك ، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها ، والغشاوة على الأبصار ؛ لأن من شؤم السيئات أن اللّٰه جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ ، والحيلولة بينه وبين الخير جزاءه اللّٰه بذلك على كفره جزاء وفّاقًا . . .

والآيات الدالّة على ذلك كثيرة ؛ كقوله تعالى : { بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَىٰ عُلُوقِهَا بِكَفْرِهُمْ } ، فالباء سببيّة . وفي الآية تصريح منه تعالى أن سبب ذلك الطبع على قلوبهم هو كفرهم ؛ وكقوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا } فَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ { ، ومعلوم أن الفاء من حروف التعليل ، أي : فطبع على قلوبهم بسبب كفرهم ذلك ، وقوله تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ } ، وقوله تعالى : { وَنُفِّلْنَا عَنْهُمْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْسَلَ مَرَّةٍ } وَنَذَرْنَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ { ، وقوله تعالى : { فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا } ، إلى غير ذلك من الآيات ، كما تقدّم إيضاحه . . .

وقد دلّت هذه الآيات على أن شؤم السيئات يجزّ صاحبها إلى التماذي في السيئات ، ويفهم من مفهوم مخالفة ذلك ، أن فعل الخير يؤدّي إلى التماذي في فعل الخير ، وهو كذلك ؛ كما قال تعالى : { وَالسّٰذِنَ اهْتَدَوْا } زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ

